

**مسؤولية وسائل الإعلام
نحو نصره النبي صلى الله عليه وسلم**

إعداد

د. محمد الهاشمي الجامدي

بسم الله الرحمن الرحيم

مسؤولية وسائل الإعلام نحو نصره النبي صلى الله عليه وسلم

بقلم: الدكتور محمد الهاشمي الحامدي

السلام العالمي مطلب أساسي للمسلمين وغير المسلمين في عالمنا المعاصر، ومن حق كل إنسان على وجه الأرض أن ينعم بطفولة سعيدة، وبالتعليم المفيد والرعاية الصحية، وأن يبني أسرة سعيدة في مجتمع مستقر تتوفر فيه الحاجيات الأساسية لكل مواطن. والمسلمون اليوم أحوج للسلام وأكثر حرصاً عليه من شعوب أخرى كثيرة، بسبب ما تعانيه بعض بلدانهم من اضطرابات أمنية وسياسية تهدد حاضرهم ومستقبل أجيالهم. وهناك من ينظر اليوم على الصعيد العالمي ويدافع عن فكرة الصراع بين الأديان والحضارات، ويركز بوجه خاص على الصراع والتضارب بين الحضارة الغربية والقيم السائدة في العالم الإسلامي، وفي هذا السياق من الشك وسوء الظن، يمكن تنزيل حالات الإساءة لني الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم في بعض وسائل الإعلام الغربية خلال العاملين الأخيرين.

حالات الإساءة هذه حاولت أن تتستر بمبدأ حرية التعبير، ولكنها هدفت في الأساس إلى توتير الأجواء بين الدول الغربية والدول الإسلامية، وخدمة فكرة الصراع بين الحضارات والأديان.

الدين عند كل الناس نظم اعتقادي عقلي وروحي، وهو مكون أساسي في شخصية الفرد وهوية الأمة، أية أمة، وقد تواضع الناس على احترام الرموز الدينية لبعضهم البعض، والتحفظ عن انتقاد الدين المخالف، إلا في سياق حوارات علمية، وبلغت علمية راقية ومهذبة.

لذلك فإننا لا نكاد نسمع في أي مكان من العالم اليوم تهجماً على الديانة الهندوسية

ومقدساتها، أو الديانية السيخية ومقدساتها، أو الديانة البوذية ومقدساتها، هذه قواعد للتعاش والاحترام المتبادل بين شعوب العالم، تدل على رقي الناس والتزامهم الأخلاقي إزاء بعضهم البعض.

مع ذلك، وبكل أسف، يلاحظ المراقب المنصف أن التعامل مع الإسلام ورموزه من قبل بعض المتطرفين في الغرب يخرج عن هذه القاعدة، هناك إصرار لدى بعض هؤلاء المتطرفين على ممارسة حرية التعبير بمعنى جارح ومهين للمسلمين، وهو التعدي على شخصية النبي صلى الله عليه وسلم بالرسوم المهينة والتصريحات الباطلة، وعلى بعض الرموز والتعاليم الإسلامية الأخرى، وخاصة على حجاب المرأة المسلمة.

هذا السلوك يخدم المتطرفين من جهة تقديم بعض الأدلة لهم على صعوبة التفاهم والتعاش بين العالم الإسلامي والغرب، رغم أن هذه الحقيقة باطلة بكل المقاييس، فالمسلمون والغربيون يتبادلون المصالح والمنافع على الأصعدة التجارية والثقافية والسياسية، ويحتاج بعضهم لبعض مثلما هو الحال بين سائر أمم العالم الأخرى.

من هنا يصبح الدفاع عن شخصية نبي الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم مرادفاً للدفاع عن التفاهم والتقارب بين العالم الإسلامي والغرب، ومرادفاً للدفاع عن السلام العالمي، هذا بالإضافة إلى أنه دفاع عن الحق والموضوعية والأمانة العلمية.

وبطبيعة الحال، فإن لوسائل الإعلام المنصفة والموضوعية، الإسلامية وغير الإسلامية، دوراً كبيراً في أداء هذه المهمة النبيلة، ومواجهة الدور المتطرف لبعض وسائل الإعلام التي قد تكون تنشد الشهرة من خلال الإساءة لرموز الإسلام.

يجب أن تستند وسائل الإعلام الملتزمة بمعايير الموضوعية والحقيقة والأمانة العلمية، إلى بعض الحقائق الأساسية حول شخصية نبي الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم وتعاليم الإسلام، وهو ما سبق أن بينته في مقدمة الطبعة الثانية لكتابي (محمد صلى الله عليه وسلم للقرية العالمية) وأرى مناسباً إثباته هنا.

رسول السلام والحرية:

لقد عكست الرسوم الكارتونية المسيئة لمحمد صلى الله عليه وسلم جهلاً حقيقياً بشخصية نبي الإسلام وبتعاليم الإسلام، فهو لم يكن إرهابياً بأي وجه من الوجوه، وإنما كان داعية للحرية، ومجدداً ومتمماً لتراث الأنبياء العظام من قبله، إبراهيم وموسى وعيسى وسائر المرسلين عليهم جميعاً وعلى محمد أتم الصلاة وأزكى التسليم.

نزل الوحي على نبي الإسلام وهو في الأربعين من عمره، ففضى ثلاثة عشر عاماً يدعو أهل مكة للإيمان بالله الواحد والكف عن عبادة الأصنام والأوثان، والقبول بمبادئ المساواة بين البشر، وإقامة العدل، وتحرير المرأة، والكف عن كل أنواع الظلم السياسي والاجتماعي، والالتزام بمكارم الأخلاق.

لكن المستبدين من أصحاب النفوذ في مكة حاربوا النبي الخاتم واضطهدوا أصحابه وعذبوهم، فكانت الهجرة الأولى إلى الحبشة، ثم الهجرة الثانية إلى المدينة، وهناك أسس النبي صلى الله عليه وسلم أول دولة إسلامية في التاريخ، وبنهاها على دستور موثق ومحفوظ، يضمن العدل و المساواة لكل سكان تلك الدولة، من مسلمين ويهود.

إلا أن الطغاة المستبدين في مكة، الذين اعتبروا أن رسالة الإسلام تهدد مصالحهم السياسية والتجارية وتساوي بينهم وبين الطبقات التي كانوا يستغلونها ويستعبدونها، صمموا على مواصلة محاربة الإسلام وأهله حتى في المدينة. ولذلك جردوا الجيوش، وعقدوا التحالفات العدوانية، وخاضوا أكثر من حرب لاستئصال الإسلام، لكنهم فشلوا في مسعاهم، مثلما فشل أعداء إبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام من قبل في مساعيهم لإخماد شعلة الإيمان بالله في نفوس بني البشر.

وفي العام الثامن بعد الهجرة إلى المدينة، تمكن نبي الإسلام وأصحابه من تحرير مكة، وإزالة الأصنام والأوثان من المسجد الحرام أول معبد بني في التاريخ الإنساني، ورفع الأذان

للصلاة من فوق الكعبة المشرفة يشهد أن الناس جميعاً أحرار كرام، ليس لهم إلا إله واحد هو الله خالق السموات والأرض ورب الناس أجمعين.

على امتداد هذه السنوات، وهذه الحملات والمعارك المتصلة المتكررة على الإسلام، قتل قرابة ألف إنسان من المسلمين ومن أعدائهم، قارن هذا بعدد ضحايا الحروب الأخرى في أوروبا وآسيا قبل بعثة نبي الإسلام، وفي عهده، ومن بعده، وقارنه بعدد ضحايا الحربين العالميتين في القرن العشرين، وقارنه بأحداث حروب القرن الحادي والعشرين، والنتيجة أن المعارك التي اضطر الإسلام لخوضها من أجل حرية الناس وحرية العقيدة كانت أقل الحروب في التاريخ من جهة كلفتها البشرية، إذ قتل فيها عدد قليل جداً من الناس، من المسلمين ومن المعتدين عليهم.

السبب الرئيسي لهذه الظاهرة الملفتة أن الإسلام دين للحياة، كرامة الإنسان فيه مقررة من عند الله، وهي ثابتة محفوظة للإنسان في كل زمان ومكان، بقطع النظر عن عقيدته ولونه وعرقه ولغته وجنسيته، والسلام هو الخيار الأول للإسلام، بتوجيه قرآني واضح، وقد جسد النبي محمد عليه الصلاة والسلام هذه المبادئ عندما حرر مكة، وبسط السلام والأمان لخصومه الذين اضطهدوه وقتلوه وشردوه، قائلاً لهم: اذهبوا فأنتم الطلقاء، وجسده قبل ذلك عندما اختار مواجهة الطغاة المتعصبين بالكلمة وبالصبر الجميل على ظلمهم، وثبت تاريخياً أنهم هم الذين تجاوزوا الظلم والتعذيب إلى التهجير والتشريد، ثم إن إعلان الحرب على المسلمين وتبني خيار اجتنائهم واستئصالهم.

إن الذين يتهمون الإسلام ونبيه بالتعصب والإرهاب ينقصهم العلم بحقيقة الإسلام وبسيرة نبيه، هذا إذا كانت نواياهم حسنة في الأساس، أما إن كانوا من ذوي النوايا السيئة، من المتطرفين المتعصبين دعاة الصراع والكراهية بين الثقافات والحضارات، فإن عليهم أن يكونوا أكثر مسؤولية، ويجنبوا العالم شر نزعات التعصب والتطرف، عليهم أن يعلموا ويتذكروا حجم الشر والدمار الذي ألحقه المتطرفون والمتعصبون بالعالم في التاريخ، ففي

القرن العشرين تعمد النازيون بث ثقافة الكراهية بحق اليهود تمهيداً لجريمة الهولوكوست المروعة، ثم أدخلوا العالم كله في حرب كونية قتل فيها أكثر من خمسين مليون إنسان. والمسلمون الذين يحترمون المسيحيين واليهود والهندوس والبوذيين وسائر شعوب العالم الأخرى، لا يرغبون مطلقاً في أن يكونوا هم ضحايا هولوكوست جديد ولا وقوداً لحرب عالمية ثالثة، ويكرهون نظرية الصراع والصدام بين الحضارات، ويؤمنون بأن البشر كلهم عائلة واحدة كبيرة وموسعة، يجب أن يعيش كل فرد فيها، وكل شعب، وكل أمة، في سلام وأمان وحرية من دون تمييز بينهم على أساس الانتماء الديني أو العرقي أو الثقافي. والمسلمون يزعجهم ويقلقهم أن تنخرط جهات كثيرة بعضها عن جهل وبعضها عن مكر وسوء نية، لترويج ثقافة الكراهية بحق الإسلام ومعتنقيه، وتصوير رسول الإسلام على أنه داعية للإرهاب، وتصوير المسلمين على أنهم أتباع لشخصية إرهابية، وهذا كذب فاضح، وقلب للحقائق، وتشويه بالغ لسمعة ما يقرب من مليار ونصف مليار إنسان، وتحريض على الإسلام وأهله، وتبرير مباشر لما قد يصيبهم من عنف وعدوان، ومن ترسانة القوانين الجديدة التي تضيق عليهم وتصادر حرياتهم الدينية والشخصية.

يشعر المسلمون بالألم العميق لهذا التشويه المتعمد لسمعتهم وسمعة نبيهم وتعاليم دينهم، لكنهم لا يقبلون أيضاً أن يعبر بعضهم عن هذا الغضب برفع ساطور، أو إحراق سفارة، أو تبني شعارات وأفعال مخالفة للقانون وأخلاق الإسلام، وكل سلوك من هذا القبيل مرفوض رفضاً تاماً، من دون أدنى تحفظ، ويجب على قادة المسلمين وعلمائهم التصدي له ورفضه وإدانته بشدة ومن دون تردد.

ويشعر المسلمون بالألم أيضاً عندما يتهمون بمعاداة حرية التعبير من طرف بعض الكتاب والساسة الغربيين، الحقيقة أن حرية التعبير مبدأ شريف ونبيل ينحاز له المسلمون بأغليبيتهم الساحقة، ويكافحون ويقدمون التضحيات من أجله في بلدانهم وفي الساحة العالمية، والحرية أيضاً هدف من أعظم أهداف الإسلام، ومن عظم شأنها في الإسلام إن

شرط قبول إيمان الرجل أو المرأة هو أن يكون هذا الإيمان مبنياً على الإرادة الحرة لصاحبه، لأنه (لا إكراه في الدين). لكن الحرية لا تعني الشتم وإشانة السمعة والتحريض على كراهية المسلمين، أو السود، أو اليهود، أو أي عرق آخر، وفي القوانين المعمول بها حالياً في العديد من الدول الغربية تمييز واضح بين الحرية وبين التحريض على العنف والكراهية، والمسلمون لا يريدون التمييز بحق أو معاملة خاصة على حساب الملل والشعوب الأخرى، إنهم يريدون فقط أن تكون لهم نفس الحقوق وذات الحماية المكفولة للشعوب والديانات الأخرى.

هذا هو كل ما يريدونه، لا أكثر ولا أقل:

وقد آن الأوان من أجل أن تتجاوب الأسرة الدولية مع هذه المطالب العادلة، فتسن قانوناً دولياً ملزماً يحمي الإسلام وسائر الديانات الأخرى في العالم من الحملات الظالمة التي تستهدف تشويه السمعة والتحريض على كراهية الشعوب بسبب انتمائها الديني، ولن يكون هذا القانون بدعة تخترع بسبب إلحاح المسلمين، وإنما هو أمر معمول به اليوم في بريطانيا، حيث يوجد قانون يحمي المسيحية، وقانون آخر يضمن حماية اليهود والسيخ، ولن يضر أحد في العالم إذا استفاد العالم كله من التجربة البريطانية ووسعها لتكفل حماية الإسلام وسائر الديانات الأخرى.

هذا القانون أصبح اليوم مطلباً ضرورياً ومستعجلاً، ليس فقط من أجل حماية الإسلام والمسلمين من خطاب التحريض والكراهية ضدهم، ولكن أيضاً من أجل حماية بقية الأديان، ومن أجل حماية حرية التعبير والحيلولة دون استخدامها شعاراً تتستر به النزعات العنصرية، وأيضاً من أجل السلام العالمي، ومن أجل إتاحة الفرصة لتنمية علاقات الصداقة والتعاون بين المسلمين وأوروبا، وبينهم وبين الغرب بشكل عام.

سن مثل هذا القانون على الصعيد لدولي، وتأييد الأوروبيين للمساعي الإسلامية المبذولة من أجل هذا الهدف، سيكون الحل المنطقي والمشرف لجميع الأطراف، وسيكون

دليلاً على انتصار خطاب العقل والاعتدال والحرية على حساب خطاب التعصب والعنف والكرهية.

من تعاليم الرسول صلى الله عليه وسلم:

على وسائل الإعلام الموضوعية والأمنية أن تنتج البرامج التي تسلط الضوء على شخصية نبي الإسلام صلى الله عليه وسلم وأخلاقه، وتبثها وتنشرها للناس. وتوجد لدينا في المصادر المعتمدة الموثوقة أدلة قاطعة على أن نبي الإسلام عليه الصلاة والسلام كان المثل الأعلى للأخلاق النبيلة الكريمة التي يحتاجه العالم بأسره في هذا العصر وفي كل عصر، وقد عرضت القليل من هذه الأدلة في كتابي (محمد صلى الله عليه وسلم للقريّة العالمية) وبينتها كما يلي:

تعطينا كتب الحديث والسيرة الموثوقة المعتمدة لدى المسلمين وغيرهم إضاءات كثيرة عن شخصية نبي الإسلام في كل مراحل حياته، ولعل من المناسب الآن أن نعرض عناوينها الرئيسية بعد أن ساد الإسلام في مكة المكرمة وفيما حولها من أجزاء الجزيرة العربية، مع الإشارة إلى أن هذا العرض سيكون مختصراً موجزاً، لأن الوفاء بالموضوع كاملاً يستحق لوحده أكثر من كتاب من مئات الصفحات.

كان محمد بن عبد الله رسول الله وخاتم النبيين كريماً يعطي بسخاء، وقد روى عبد الله بن عباس: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس بالخير، وكان أجود ما يكون في شهر رمضان^(١).

وقال أنس بن مالك: ما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الإسلام شيئاً إلا أعطاه، قال: فجاءه رجل فأعطاه غنماً بين جبلين فرجع إلى قومه، فقال: يا قوم أسلموا فإن محمداً يعطي عطاء لا يخشى الفاقة، وأضاف أنس معلقاً: إن كان الرجل لا يسلم، ما يريد إلا الدنيا، فما يسلم حتى يكون الإسلام أحب إليه من الدنيا وما عليها^(٢). وقال جابر بن عبد الله، وهو من مشاهير صحابة النبي: ما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً قط

فقال لا^(٣). وقد رأى العرب صنيعه بعد حنين وأعطياته الجزيلة لأبي سفيان بن حرب وصفوان بن أمية والحارث بن كلدة ومالك بن عوف وآخرين.

كان نبي الإسلام مضرب المثل في الجود والكرم مع عامة الناس، ولكنه لم يكن يستخدم المال العام للإففاق على نفسه والصرف على رغبات أهل بيته، حتى أنه كان يمر الشهر والشهران من دون أن توقد نار لطبخ الطعام في بيت النبي، قالت عائشة أم المؤمنين تحدث عروة ابن أختها: والله يا ابن أختي إن كنا ننظر إلى الهلال ثم الهلال، ثلاثة أهلة في شهرين وما أوقد في آيات رسول الله صلى الله عليه وسلم نار. قال عروة: يا خالة، فما كان يعيشكم؟ قالت: الأسودان، التمر والماء، إلا أنه كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم جيران من الأنصار، وكانت لهم مناخ (مواشي، إبل أو غنم) وكانوا يرسلون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من ألبانها فيسقينها^(٤).

كانت حياة النبي كلها كفاحاً من أجل نشر عقيدة الإيمان بالله الواحد، وتبليغ رسالة الله للناس أجمعين، وكان قلبه دائماً متعلقاً بالآخرة، فهي الحياة الحقيقية الدائمة، والتعلق بما يعطي الحياة الدنيا وزنها الحقيقي فلا يبيع الإنسان قيم الخير والفضيلة من أجل مكسب صغير من مكاسبها الوقتية الزائلة، دخل عمر بن الخطاب يوماً على النبي صلى الله عليه وسلم فوجده جالساً على حصير، عليه إزار ليس عليه غيره، ورأى الحصير قد أثر في جنبه، ورأى قليلاً من الشعير في مسكنه، فبكى، وعندما سأله النبي عن سبب بكائه قال: يا نبي الله مالي لا أبكي وهذا الحصير قد أثر في جنبك، وهذه خزانتك لا أرى فيها إلا ما أرى، وذاك كسرى وقيصر في الثمار والأثمار، وأنت نبي الله وصفوته، وهذه خزانتك، وكان جواب النبي له: يا ابن الخطاب، أما ترضى أن تكون لنا الآخرة ولهم الدنيا؟^(٥).

وليس معنى هذا أن نبي الإسلام لم يكن مهتماً بالدنيا، فهو قضى حياته كلها من أجل عمرتها بقيم الإيمان بالله ومبادئ العدالة والحرية ومكارم الأخلاق، وهو حث على العلم والعمل الصالح، وأوصى المؤمن أنه إذا قامت الساعة وفي يده فسيلة فليغرسها، ولكن

معنى جوابه لعمر بن الخطاب أنه يقبل أن ينشغل الحكام الآخرون المشار إليهم بمناهج الدنيا، ويرضى هو أن يتنازل عنها، وأن يكون متواضعاً متقشفاً، لا يبدد موارد المسلمين على القصور والجنائن، يقدم المثل والقدوة لمن يخدم الناس من موقع القيادة، ويرضى بالشرف والمقام الرفيع الذي وعد به الله عز وجل أنبياءه والحكم العادلين المتواضعين في الآخرة.

التواضع كان سمياً أصيلاً في خلق نبي الإسلام، وللذين يتكبرون على من يخدموهم ويطنون أنفسهم من طينة أرفع من طينة البشر قصة تخرجهم من سيرة النبي رواها أنس بن مالك، قال: خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين، والله ما قال لي أفاً قط، ولا قال لي لشيء لم فعلت كذا، وهلا فعلت كذا^(٦).

وكان نبي الإسلام متواضعاً للناس كافة، طلبت امرأة من عامة الناس أن تحدثه في أمر يهمها دون أن يسمع كلامها بقية الناس فأجابها إلى طلبها، وسمع منها قولها في مكان على الطريق العام حتى فرغت من عرض مسألتها^(٧).

وروي عن أنس بن مالك أيضاً أنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صافح أو صافحه الرجل لا ينزع يده، وإن استقبله بوجهه لا يصرفه عنه حتى يكون الرجل ينصرف عنه، ولا يرى مقدماً ركبته بين يدي جليس له^(٨).

كان تواضع النبي طبعاً لا تطبعاً، وسلوكاً يومياً في حياته. جاءه رجل فارتبك من مهابته، فهون عليه، وذكره بأنه (أي النبي) ابن امرأة من قريش كانت تأكد القديد، وكان يزور المرضى ويخالط الفقراء والمساكين، وأشد الناس بعداً عن التكبر والرياء والتفاخر، قالت زوجته عائشة: كان يخصف نعله، ويخيط ثوبه، ويعمل بيده كما يعمل أحدكم في بيته، وكان بشراً من البشر يفى ثوبه، ويجلب شاته، ويخدم نفسه^(٩).

وكان النبي غاية الأدب في كل أمره، حتى في شأن تفصيلي لا ينتبه إليه كثير من الناس. قال أبو هريرة: ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم عاب طعاماً قط، كان إذا اشتهاه أكله وإن لم يشتهه سكت^(١٠).

وقالت أم المؤمنين عائشة: ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً قط بيده، ولا امرأة، ولا خادمة، إلا أن يجاهد في سبيل الله، وما نيل منه شيء قط فينتقم من صاحبه، إلا أن ينتهك شيء من محارم فينتقم لله عز وجل^(١١).

وكان النبي محباً للصغار عطوفاً عليهم، وكان يسلم عليهم إذا مر بهم في الطريق، روى أبو هريرة وهو من مشاهير رواة الحديث النبوي، أن صحابياً يسمى الأقرع بن حابس أبصر النبي صلى الله عليه وسلم يقبل حفيده الحسن بن علي بن أبي طالب، فقال الأقرع: إن لي عشرة من الولد ما قبلت واحداً منهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنه من لا يرحم لا يرحم"، وقال النبي أيضاً: "من لا يرحم الناس لا يرحمه الله عز وجل"^(١٢).

وكان نبي الإسلام يوصي بالتيسير ويأخذ بالأيسر ما لم يكن إثماً، قالت عائشة أم المؤمنين: ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين إلا أخذ أيسرهما، ما لم يكن إثماً، فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه، وما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله عز وجل^(١٣).

وكان النبي إنساناً يفرح ويحزن مثل عامة البشر، حضر وفاة ابنه إبراهيم وحضرها أنس بن مالك فقال: لقد رأيته وهو يكد بنفسه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فدمعت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: "تدمع العين ويحزن القلب، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، والله يا إبراهيم إنا بك لمحزونون"^(١٤).

وكان نبي الإسلام مشهوراً بالحياء واحترام الناس والبعد عن القول الفاحش، وكان يحث الناس على الخلق الكريم، ويعتبر الأخلاق الفاضلة وجهاً رئيسياً للدين الإسلامي، قال أبو سعيد الخدري: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد حياءً من العذراء في خدرها، وكان إذا كره شيئاً عرفناه في وجهه^(١٥).

وقال عبد الله بن عمرو أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن فاحشاً ولا متفحشاً، وأضاف: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن من خياركم أحاسنكم أخلاقاً"^(١٦).

وكان يعلم الناس ألا ينخدعوا بالمظاهر ولا يعبأوا بها كثيراً، ويقول لهم: "إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم" (١٧).

وكان نبي الإسلام يوصي بمودة الجار والإحسان إليه، وبإكرام الضيف، ويقول: "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت" (١٨).

وكان يوصي ببر الوالدين ويعتبره من أفضل الأعمال عند الله، ويقول: "أفضل الأعمال الصلاة لوقتها وبر الوالدين" (١٩).

وكان ينبذ العدوان على الناس بالسلاح وينبذ الغش ويقول: "من حمل علينا السلاح فليس منا، ومن غشنا فليس منا" (٢٠).

وكان ينهى عن الظلم، ويقول عن ربه تعالى في حديث قدسي: "يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا" (٢١). كما كان يحث المؤمنين على أن يعين بعضهم بعضاً ويقول: "من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة" (٢٢).

وكان نبي الإسلام يوصي أصحابه بالكرم وبذل المعروف والعفو والتواضع، قال: "ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله" (٢٣).

وكان ينهى عن اللعن والسب والغيبة والنميمة، وينهى أيضاً عن لعن الحيوانات، قيل له يوماً: يا رسول الله: ادع على المشركين، قال: "إني لم أبعث لعاناً وإنما بعثت رحمة" (٢٤).

وكان ينصح بالرفق، ويقول لزوجته أم المؤمنين بنت الصديق: "يا عائشة: إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، وما لا يعطي على ما سواه" (٢٥).

وكان يجب الصدق ويوصي به، ويكره الكذب ويحذر منه، قال: "إن الصدق يهدي

إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقاً، وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذاباً" (٢٦).

وكان ينهى عن تعذيب الناس ويحذر منه تحذيراً شديداً، ويقول: "إن الله يعذب الذين يعذبون الناس في الدنيا" (٢٧).

وكان يحث الناس على فعل الخير وخدمة بعضهم بعضاً، ويجعل لبعض ما يبدو ظاهرياً على أنه أمر بسيط للغاية من أمور الخير، شأناً دينياً مهماً، كمثل قوله: "بينما رجل يمشي بطريق، وجد غصن شوك على الطريق فأخره، فشكر الله له فغفر له" (٢٨). وقوله أيضاً في الحث على المودة بين الناس: "لا تحقرن من المعروف شيئاً، ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق" (٢٩).

وفي كل هذه التوجيهات، كان النبي يقدم المثل الأعلى في تطبيقها والالتزام بها، كان بشوشاً ودوداً، صديقاً للفقراء والمساكين، وكان حادباً جداً على اليتامى والأرامل، يقول لأصحابه: أنه رفيق لكافل اليتيم في الجنة، ويحثهم على الإنفاق على الأرامل والمساكين، ويعتبر ذلك من أبواب الجهاد في سبيل الله، وكان معيناً للناس على حوائجهم، يربي أمته بأحسن وسائل التربية، لا يهين ولا يجرح أحداً، ولا يتكبر على أحد، في سفرة من أسفاره مع بعض أصحابه، اتفقوا على طبخ شاة لطعامهم، فقال رجل: علي ذبحها، وقال آخر: علي سلخها، وقال آخر: علي طبخها، فقال صلى الله عليه وسلم: وعلي جمع الحطب، فقالوا: نحن نكفيك، فقال: قد علمت أنكم تكفوني، ولكني أكره أن أتميز عليكم، فإن الله يكره من عبده أن يراه متميزاً بين أصحابه، وقام وجمع الحطب (٣٠).

وكان إلى هذا كله شجاعاً لا يهاب، عاداه طغاة قريش وحاربوه أشرس الحروب فلم يتراجع عن تبليغ رسالته ولم يضعف أمامهم أبداً، وفر أصحابه من حوله يوم حنين فلم يهرب، ولم يتراجع شبراً واحداً، وصمد في إباء وهمة عالية فعاد الهاربون من حوله وجاء

النصر الكبير، ومن قبل في أحد حين انقلبت الدائرة على المسلمين لم يجزع ولم يخف، ويوم الأحزاب عندما حوصرت المدينة وبلغت القلوب الحناجر، كان هو الركن الشديد الذي يستلهم منه صناديد المسلمين الثقة بالنفس والقدرة على التحمل.

وكان مهاباً شديد الاحترام، سأل الحسن بن علي بن أبي طالب أباه عن مجلس رسول الإسلام، فقال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجلس ولا يقوم إلا على ذكر، وإذا انتهى إلى قوم جلس حيث ينتهي به المجلس ويأمر بذلك، ويعطي كل جلسائه نصيبه، ولا يجسب جلسه أن أحداً أكرم عليه منه، من جالسه أو قاومه في حاجة صابره حتى يكون هو المنصرف عنه، ومن سأله حاجة لم يرده إلا بما أو لميسور من القول. وقد وسع الناس منه بسطه وخلقه فصار لهم أباً وصاروا به أبناء عنده في الحق سواء، مجلسه مجلس حلم وحياء وصبر وأمانة، لا ترفع فيه الأصوات، ولا تؤبن (تعاب) فيه الحرم.. متعادلين يتفاضلون فيه بالتقوى، متواضعين يوقرون فيه الكبير ويرحمون الصغير، ويؤثرون ذا الحاجة، ويحفظون الغريب، وقال علي بن أبي طالب عن سيرة النبي مع جلسائه: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم دائم البشر، سهل الخلق، لين الجانب، ليس بفظ ولا غليظ، ولا صخاب ولا فحاش ولا عياب ولا مزاح، يتغافل عما لا يشتهي، ولا يؤنس منه راحيه ولا يخيب فيه، وترك الناس من ثلاث: كان لا يذم أحداً ولا يعيره، ولا يطلب عورته، ولا يتكلم إلا فيما يرجو ثوابه، إذا تكلم أطرق جلساؤه كأن على رؤوسهم الطير، وإذا تكلم سكتوا، وإذا سكت تكلموا، لا يتنازعون عنده الحديث، يضحك مما يضحكون منه، ويتعجب مما يتعجبون منه، ويصير للغريب على الجفوة في منطقته ومسألته، ولا يقطع على أحد حديثه حتى يجوز^(٣١).

وكان نبي الإسلام نظيفاً يحب النظافة، ويوصي بها ويجعلها من وجوه الإيمان، وكان يحب الطيب، ويبقى فمه الشريف دائماً عطراً بالسواك.

وقد اتفق علماء الأدب العربي والمختصون في البلاغة أن نبي الإسلام أوتي جوامع

الكلم، إنه أوتي القدرة على أن يقول في كلمات قليلة ما يحتاج عامة الناس إلى عرضه في مقالات طويلة، وأحاديثه دالة على هذه المهبة العجيبة المؤثرة، ومنها في هذا السياق هذه العبارة الموجزة التي جمع فيها قواعد كثيرة من مميزات الرسالة الإسلامية: "أمرني ربي بتسع: خشية الله في السر والعلانية، وكلمة العدل في الغضب والرضا، وأن أصل من قطعني، وأعطي من حرمني، وأعفوا عمن ظلمني، وأن يكون صمتي فكراً، ونظمي ذكراً، ونظري عبرة، وأمر بالمعروف"^(٣٢).

وقد مدح رب السموات والأرض نبي الإسلام في كتابه الكريم، فقال يخاطبه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(٣٣).

هذا إذن فصل موجز مختصر عن أخلاق رسول الله وخاتم النبيين، وإلا فالأمر يحتاج إلى كتب ومجلدات كثيرة، أما هيئته وصورته، فقد تحدث عنها البراء، وهو من صحابته، فقال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً مربعاً، بعيد ما بين المنكبين، عظيم الجمة إلى شحمة أذنيه، عليه حلة حمراء، ما رأيت شيئاً قط أحسن منه^(٣٤). وقال البراء أيضاً: كان رسول الله أحسن الناس وجهاً وأحسنهم خلقاً، ليس بالطويل الباهل ولا بالقصير^(٣٥). وسئل أبو الطفيل، وكان آخر من مات من أصحاب النبي: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: نعم، كان أبيض مليح الوجه^(٣٦).

إذا ما تأمل الإنسان المنصف في أخلاق هذا الإنسان النبيل الكريم، ما عرضنا منها هنا وما فاتنا عرضه، فإنه يدرك على وجه اليقين أنه أصدق الخلق وأنه نقل بأمانة عن ربه دستوراً لسعادة الناس في الدنيا والآخرة.

اعرض على أي مجتمع في الدنيا، وفي أي عصر من العصور، نموذجاً أخلاقياً يمجّد الصدق ويمقت الكذب، يأمر بالبر وينهى عن الفجور، يوصي بالأمانة ويجرم الغش والخيانة، يصون النفس عن المخدرات وكل أنواع الفساد، ويجيبها في الخير والكرم ومساعدة المحتاجين، نموذج يرى أن سيد الناس خادهم، فيتواضع لصغيرهم وكبيرهم، ويقضي

حاجاتهم، نموذج يعتبر الابتسامة صدقة، وإماطة الشوك عن الطريق عبادة، نموذج ينهى عن الغيبة والنميمة ويرفض حتى لعن الحيوان، نموذج يعطي للحجار حقاً دينياً من المودة والإحسان، نموذج يجعل بر الوالدين قاعدة صلبة لعائلة سعيدة مترابطة متكاتفه، نموذج يجعل كفالة اليتيم باباً للحنه، ويجعل رعاية الأرامل جهاداً في سبيل الله، نموذج يجعل النظافة من الإيمان، نموذج يتواصل مع الناس بالفكرة والحجة والخلق الرفيع ولم يعرف عنه أنه ضرب شيئاً قط بيده، ولا امرأة، ولا خادمة، قدم هذا النموذج لأي مجتمع، وستجد أن كثيراً من الناس قد يعبدونه عبادة، من فرط المحبة والتقدير، لكن نبي الإسلام حذر الناس من أن يغالوا فيه، وأمرهم بعبادة الله وحده، وبين لهم الأسلوب الذي يجعل كل الإنسان العادي، في كل زمان ومكان، قادراً على الالتزام. يمثل هذا الدستور الأخلاقي السامي في حياته.

إن أخلاق محمد بن عبد الله التي مدحها القرآن الكريم مفتاح أساسي في فهم سر انتشار الإسلام في قلوب الناس شرقاً وغرباً، وفي فهم استمرار انتشاره على مر العصور^(٣٧).

الإعلام ورسالة السلام:

كل الحقائق الآنفه الذكر عن نبي الإسلام صلى الله عليه وسلم وعن الرسالة الإسلامية تصلح مادة للكثير من البرامج الإعلامية المشوقة الجذابة، المرئية والمكتوبة والمسموعة.

من الممكن مثلاً أن تتنافس وسائل الإعلام في إنجاز ما يلي:

- ١- عرض السيرة النبوية برؤية معاصرة وأسلوب مشوق جذاب في حلقات أسبوعية أو يومية.
- ٢- تصوير مسلسلات تلفزيونية تركز على مسيرة بعض الصحابة الأعلام، ويتم من خلالها التعريف بحقيقة الرسالة الإسلامية وشخصية حامل الرسالة صلى الله عليه وسلم.
- ٣- إنجاز أفلام سينمائية عالية الجودة على غرار فيلمي (الرسالة) و(عمر المختار) للفنان السوري الشهيد مصطفى العقاد.

- ٤- تخصيص صفحة أسبوعية في الصحف اليومية الكبرى للسيرة النبوية، يستكتب فيها أشهر العلماء والمفكرين المسلمين.
- ٥- إقامة مواقع متخصصة على الإنترنت متخصصة في عرض السيرة النبوية.
- ٦- إنتاج حلقات إذاعية عن السيرة النبوية يقرأها إعلاميون موهوبون بصوت رخميم وجذاب.
- ٧- إنتاج مسلسلات إذاعية مشاهمة للمسلسلات التلفزيونية.
- ٨- استخدام صناعة الدبلجة لتوفير هذه الأعمال للشعوب غير الناطقة بالعربية.
- ٩- إنتاج أفلام ومسلسلات وندوات حوارية مصورة باللغات العالمية الرئيسية وتوزيعها على الوسائل الإعلامية المهمة وعرضها في الأسواق وتوفيرها على شبكة الإنترنت.
- والمهم جداً في كل هذه الأعمال هو حسن العرض، واعتماد منهج علمي موضوعي في دراسة السيرة بما ييسر عرضها بخطاب يسهل فهمه من طرف سكان المعمورة في هذا الزمان، ويبدد الشبهات التي يطرحها خصوم الإسلام بحق الرسالة الخاتمة وبحق خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم.
- من الضروري هنا ألا يترك الأمر للغافلين عن تحديات المرحلة وثقافة العصر حتى لا يسيئوا لحقيقة الإسلام وشخصية النبي صلى الله عليه وسلم وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا.
- وقد عرضت في هذه الورقة أسس الرؤية التي أرى أنها موضوعية وأمينة في فهم سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وتعاليم الإسلام، وهي في نفس الوقت تجيب على أسئلة العصر، وتخطب عقل ابن آدم الذي يعيش في القرن الحادي والعشرين للميلاد، الموافق للقرن الهجري الخامس عشر.
- والله تعالى ولي التوفيق، له الحمد في الأولى والآخرة، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

مراجع

- (١) - صحيح مسلم. القاهرة: المطبعة المصرية ومكتبتها، بدون تاريخ، الجزء الرابع عشر، ص٦٨.
- (٢) - المصدر السابق. ص٧٢.
- (٣) - المصدر السابق. ص٧١.
- (٤) - سعيد حوى: الرسول صلى الله عليه وسلم. القاهرة: مكتبة وهبة، بدون تاريخ. ص٥٨.
- (٥) - المصدر السابق. ص٥٨.
- (٦) - المصدر السابق: ص٦٩.
- (٧) - صحيح مسلم. الجزء الخامس عشر. ص٨٢ - ٨٣.
- (٨) - سعيد حوى: الرسول صلى الله عليه وسلم. ص٦١.
- (٩) - الرحيق المختوم. ص٣٦٠..
- (١٠) - صحيح مسلم. الجزء الرابع عشر. ص٢٦.
- (١١) - صحيح مسلم. الجزء الخامس عشر. ص٨٤ - ٨٥.
- (١٢) - المصدر السابق. ص٧٦ - ٧٧.
- (١٣) - المصدر السابق. ص٨٣.
- (١٤) - المصدر السابق. ص٧٥.
- (١٥) - المصدر السابق. ص٧٨.
- (١٦) - المصدر السابق. ص٧٨.
- (١٧) - صحيح مسلم. الجزء السادس عشر. ص١٢١ - ١٢٢.
- (١٨) - صحيح مسلم. الجزء الثاني. ص٢٠.
- (١٩) - المصدر السابق. ص٧٤.

- (٢٠) - المصدر السابق. ص ١٠٨.
- (٢١) - صحيح مسلم. الجزء السادس عشر. ص ١٣٢.
- (٢٢) - المصدر السابق. ص ١٣٥.
- (٢٣) - المصدر السابق. ص ١٤١.
- (٢٤) - المصدر السابق. ص ١٥٠.
- (٢٥) - المصدر السابق. ص ١٤٦.
- (٢٦) - المصدر السابق. ص ١٥٩.
- (٢٧) - المصدر السابق. ص ١٦٧.
- (٢٨) - المصدر السابق. ص ١٧٠.
- (٢٩) - المصدر السابق. ص ١٧٧.
- (٣٠) - الرحيق المختوم، ص ٣٦٠.
- (٣١) - سعيد حوى: الرسول صلى الله عليه وسلم. ص ٥٦ - ٦٦.
- (٣٢) - المصدر السابق. ص ١١١.
- (٣٣) - القرآن الكريم. سورة القلم: ٤.
- (٣٤) - صحيح مسلم. الجزء الخامس عشر. ص ٩١.
- (٣٥) - المصدر السابق. ص ٩٢.
- (٣٦) - المصدر السابق. ص ٩٣.
- (٣٧) - د. محمد الهاشمي الحامدي: محمد صلى الله عليه وسلم للقريّة العالمية. دمشق:
مركز الراهية للتنمية الفكرية، ٢٠٠٦م، الطبعة الثانية. ص ١٥ - ٢١، ثم ص ٤٥٦
- ٤٧٠.